tasavvur

tekirdag ilahiyat dergisi | tekirdag theology journal

e-ISSN: 2619-9130

tasavvur, Aralık / December 2021, c. 7, s. 2: 1335-1382

بين عالمية القرآن والقول بتاريخانيته: دراسة في نوع المكي والمدني من خلال كتاب الإتقان للسيوطي

Kur'an'ın Evrenselliği ve Tarihsel Olduğu Görüşü Arasında:
Süyutî'nin İtkan'ı Üzerinden Mekkî ve Medenî Sure Türleri Üzerine Bir Çalışma

Between the universality of the Qur'an and the assertion of its historicity:
A study of the Makki and Madani genres through Al-Itqan by Al-Suyuti

Monjed AHMAD

Dr. Öğr. Üyesi, İstanbul 29 Mayıs Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi,
Temel İslam Bilimleri Bölümü.

Assistant Professor, İstanbul 29 Mayıs Üniversitesi, School of Islamic Studies,
Department of Basic Islamic Studies.

Istanbul / TURKEY

dr.monjed78@gmail.com

ORCID: 0000-0002-4950-909X

DOI: 10.47424/tasavvur.993001

Makale Bilgisi | Article Information

Makale Türü / Article Type: Araştırma Makalesi / Research Article

Geliş Tarihi / Date Received: 08 Eylül / September 2021

Kabul Tarihi / Date Accepted: 06 Aralık / December 2021

Yayın Tarihi / Date Published: 31 Aralık / December 2021

Yayın Sezonu / Pub Date Season: Aralık / December

Atıf / Citation: Monjed, Ahmad. "Kur'an'ın Evrenselliği ve Tarihsel Olduğu Görüşü Arasında: Süyutî'nin İtkan'ı Üzerinden Mekkî ve Medenî Sure Türleri Üzerine Bir Çalışma". *Tasavvur: Tekirdağ İlahiyat Dergisi* 7/2 (Aralık 2021): 1335-1382.

İntihal: Bu makale, ithenticate yazılımınca taranmıştır. İntihal tespit edilmemiştir.

Plagiarism: This article has been scanned by iThenticate. No plagiarism detected.

web: http://dergipark.gov.tr/tasavvur | mailto: ilahiyatdergi@nku.edu.tr

Copyright © Published by Tekirdağ Namık Kemal Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi / Tekirdag Namık Kemal University, Faculty of Theology, Tekirdag, 59100 Turkey.

CC BY-NC-ND 4.0

الملخص

هي دراسة للنوع الأول في كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: (في معرفة المكي والمدني)، لتحليل ما ورد في الباب من أقوال في قسمة النجوم القرآنية من حيث زمان ومكان النزول، وقد جعلها أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري (406هـ) في كتابه (التنبيه على فضل علوم القرآن) خمسة وعشرين نوعاً، مقرراً أنها من أشرف علوم القرآن الكريم، وشرط للتصدي للتفسير، ووافقه في ذلك السيوطي في إتقانه، مفرداً أكثر تلك الأنواع بأبواب مستقلة، وهو الأمر الذي تحفظ عليه بعض العلماء، فوصفه فريق بالغلو والمبالغة، وبحسب آخرين فإنها فتحت أبواب الشبهات، والتي من أهمها القول بتاريخانية القرآن، فإن الكثير مما ورد في نوع المكي والمدني، أسعف الكثيرين من المستشرقين والحداثيين في إنكارهم صلاحيته لكل زمان ومكان، وهذه الدراسة مناقشة وتحليل لأهم تلك الآراء والأقوال ومعالجتها بما يدفع إشكالاتها، كما أنها تقترح طريقة في النظر لنوع المكي والمدني بما يعطيه المساحة المناسبة له، لتكون مساهمة في إغلاق أبواب الشبهات.

كلمات مفتاحية: المكي والمدني في الإتقان، التاريخانية، شبهات حول القرآن الكريم، عالمية القرآن الكريم، السيوطي.

Öz

Bu çalışma, Suyûtî'nin (ö. 911/1505) *el-İtkân fî ulûmi'l-Kur'ân* isimli kitabının (Mekkî ve Medenî'nin bilinmesi hakkında) birinci türüyle ilgili bir incelemedir. Bu başlık nüzul zamanı ve mekânı ile ilgili Kur'ân ayetlerinin taksimi konusunda söylenen sözlerin tahlilini içermektedir. Ebu'l-Kâsım el-Hasan b. Muhammed en-Nisabûrî (ö. 406/1015) bu türleri *et-Tenbîh 'alâ fadl-i ulûmi'l-Kur'ân* isimli kitabında 25 türe ayırmıştır. Bu türlerin, Kur'ân ilimlerinin en üstünü ve tefsir ilmine başlamak için şart olduğunu ifade etmiştir. Suyûtî,

İtkânı'nda bu türlerin çoğunu müstakil başlıklar altında ele alarak bu görüşe katılmıştır. Bu durum bazı âlimlerin çekingen kaldığı diğer bazılarının abartı ve aşırılık olarak nitelediği, bir kısmının da şüpheye kapı araladığını belirttikleri bir husustur. Bu şüphelerin en önemlilerinden birisi de Kur'ân'ın tarihselliği söylemidir. Zira Mekkî ve Medenî konusunda aktarılanlar, pek çok müsteşrik ve modernistin Kur'ân'ın bütün zaman ve mekânlar için geçerli olmasını reddetmelerinde onların imdadına yetişmiştir. İşte bu araştırma konuyla ilgili en önemli görüş ve söylemlerin problemlerini gidererek çözüm yollarını ortaya koyan bir analiz ve tartışmadır. Ayrıca bu araştırma şüphe yollarının kapatılmasına katkı sağlayacak, Mekkî ve Medenî konusunda geniş bir bakışı açısı sunacaktır.

Anahtar Kelimeler: İtkân, Mekkî, Medenî, Tarihselcilik, Evrensellik, Suyutî.

Absract

This study is an analysis of the first type in al-Suyūtī's book of *al-Itqan fi 'Ulūm al-Qur'an* (in Ma'rifah al-Makkī and al-Madanī [The knowledge of al-Makkī and al-Madanī]). The chapter in question includes the analysis of what is said on the division of verses in terms of time and place of revelation. Abū l-Qāsim al-Hassan bin Muhammad al- Nīsābūrī, divided them into twenty five types in his book *at-Tanbīh 'alā Fadhli 'Ulum al-Qur'an* [The virtues of the knowledge of the Quran]. He mentions that this knowledge is among the most honorable sciences of the Holy Qur'an, and a condition for approaching the interpretation. He supported this opinion in al-Itqān dealing with them under separate chapters, which is something that is critiqued by some scholars. While some scholars abstained, a group described it as exaggeration, and according to others it opens the doors of doubts. One of the most important of these doubts is the discourse on the historicity of Qur'an. Much of what was mentioned in al-Makkī and al-Madanī genres helped many orientalists and modernists in their denial of its validity for every time and place. This study is a discussion of the most important opinions on this subject and offers a resolution and responses to the critiques. It also proposes a method to approach al-Makkī and al-Madanī verses and contribute to end any doubts.

Keywords: al-Makkī, al-Madanī, al-Itqān, Historicity, Universality, al-Suyūtī.

تمهيد:

فإن تراث الأمة حافل بالدراسات العلمية المعبرة عن حقيقة ما بلغته من رقي حضاري ومدني، سواء أكان علمياً أم أكاديمياً أم سياسياً أم اقتصادياً أم صناعياً أم في العلوم الاجتماعية والإنسانية، فضلاً عن الجوانب الدينية، وما انتاج الأمة العلمي واتساع مساحات مكتبتها وغزارة التأليف لدى باحثيها، وتنوع موضوعات مصنافاتها، إلا لسانها الناطق الصادق عن جوهرها ومضامينها وأهليتها للقيادة، فإذا خرس هذا اللسان فهو الانحطاط والتراجع والضعف، ولقد أنْتجَ علومَ الأمةِ عبر التاريخ لفيفٌ من عدولها، ولا يزالون يحملونه للعالَمين؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فعبروا بذلك عن جذور الأمة العميقة والعريقة، وقدموا للإنسانية ميراثاً زاخراً فيه تقويم لمسارها، وتطور لوسائلها، وتسدد لغاياتها، ومن أولئك العلماء جلال الدين السيوطي(911هـ) وهو الذي كان يلقب بابن الكتب، حتى لا نكاد نجد فناً من الفنون إلا وصنف فيه، ثم لا نجد مكتبة عامة وخاصة تخلو من شيء من مصنفاته، فتفسير الجلالين طبق الآفاق، ولاقى من القبول ما لم نجده لغيره من الكتب، ومن الكتب التي ذاع ذكرها واتسع انتشارها (الاتقان في علوم القرآن) ولعله ثالث أهم كتاب للسيوطي، ليكون في المرتبة الثانية تفسير الدر المنثور في التفسير بالماثور، وأما كتاب الاتقان فقد احتوى على مباحث عديدة ومهمة وقيمة جداً، لكنه لم يخل مما يثير التساؤلات وينتج المشكلات، بل وما كان تُكَأةً للمستشرقين والحداثيين انطلقوا منه للطعن في الدين والتشكيك في أصوله ومبادئه، بل والانكار لصلاحيته لكل زمان ومكان، وعمومه لجميع جنس الإنسان، لينتهوا بالقول والزعم بتاريخانيته، ومن تلك المباحث التي اشتمل عليها الاتقان (نوع المكي والمدني)، والحقيقة التي

لابد من الاعتراف بها أنهم لم يتمحلوا حين جعلوا الكثير من نصوصه تكأة لهم للقول بآرائهم الفاسدة، فهي في الحقيقة مشكلة وفيها بذور لتلك الأفكار التي أضرت بالمنهج العلمي الإسلامي أكثر مما أفادت، وكان فيها العون لهم لإثارة مفاسدهم ومطاعنهم، ولعل علماء الأمة الكرام بثوا تلك النقول والآراء في كتبهم لأمانتهم العلمية في نقل كل ما انتهى إليهم من المعارف صالحها وطالحها، ومما لا يقولون به ولا يعتقدونه من تلك الآراء، وربما سكتوا عنها لظهور زيفها وقبحها، ومن ذلك مثلاً أن السيوطي نقل خلافاً في مسألة كيفية نزول القرآن الكريم على النبي بواسطة جبريل عليهما الصلاة والسلام، أبلفظه ومعناه من عند الله تعالى، أم معناه فقط أو أن جبريل عليه السلام ألقى المعاني في قلب النبي، وهو عليه الصلاة والسلام صنع الألفاظ من نفسه([1]).

وتعقبه في ذلك عدد من العلماء، ومنهم الزرقاني في كلام طويل يحسن الرجوع إليه([2]). وكذلك فعل الدكتور فضل حسن عباس([3]). وهذا مثال لما يحتاج مراجعة ومعاودة وتأمل في كلام سلفنا رحمهم الله، مما جرَّ على الأمة ما لا تحمد عقباه، فهيَّج المستشرقين والحداثيين فجاؤوا كلهم فاغراً فاه.

([1]) السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين (911هـ)، **الاتقان في علوم القرآن**، دار ابن حزم، 2015م، ص(22/1) .

([2]) الزرقاني، محمد عبد العظيم (1948م)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، 1987م، ص(47/1) .

([3]) عباس، فضل حسن (2011م)، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، دار الفرقان/ الأردن، 2001م، ص(153/1)،

وبحثي محاولة للوقوف على بعض النماذج مما نجده في تراثنا على اعتباره من الحقائق التي لا تحتمل المناقشة والمراجعة، وهي ليست كذلك، ومنه مبحث المكي والمدني على اعتباره عمدة لابد منها لتفسير القرآن الكريم، وهو ما يدرك من كلام السيوطي ومن سبقه، بالمقابل حين ننظر للفوائد المتوقعة منه وبحسب تعبيرهم هم بأنفسهم لا نجدهم يذكرون شيئاً ذا بال، وأن كل ما يذكرونه لا يخلو من مناقشة، فأما أهم فائدة فهي معرفة الناسخ والمنسوخ([4])، في حين أن النسخ –عند من يقول به– لا يكون في الأخبار، والسيوطي نفسه ينص على خلو القرآن المكي من الأحكام، وأنه اقتصر على القصص والغيبيات والأخلاق، فقال: كل شيء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون فإنما نزل بمكة وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة([5]). وهو بهذا يبطل الفائدة الوحيدة التي ذكرها لمعرفة المكي والمدني، فليس ثمة ما ينسخ في القرآن المكي، ومما يزيد التعجيب أن السيوطي حين عدد الآيات المنسوخة في القرآن الكريم كانت جميعها مدنية إلا موضعاً واحداً من سورة المزمل المكية، ودون الجزم بالنسخ فيها أيضاً، معبراً عن ذلك بالتمريض([6]). فأين تلك الفائدة المزعومة للمعرفة بالمكي والمدني.

جاءت دراستي في تمهيد يكشف عن قيمة البحث وأهميته، ثم أعقبته بمبحثين؛ فأما الأول: فوقفات مع النصوص والآراء الإشكالية لدى السيوطي في إتقانه في نوع المكي والمدني، ثم مناقشتها وبيان وجه الخطأ فيها، وما يترتب عليها من نتائج سلبية، لا سيما فيما يتعلق بالقول بالتاريخانية. والمبحث الثاني: لمناقشة لضوابط المكي والمدني أشار بحسب السيوطي، وبيان

([4]) المرجع السابق، (125/1) .

([5]) المرجع السابق، (36/1) .

([6]) المرجع السابق، (419/1) .

القول الذي يعتقده الباحث في شأنها، بما يحفظ للمنهج القرآني فاعليته وإيجابيته، ويثبت عصمته من التاريخانية.

المبحث الأول: وقفات مع بعض النصوص الإشكالية لدى السيوطي في إتقانه في نوع المكي والمدني.

المكي والمدني، هو النوع الأول الذي بدأ به السيوطي في إتقانه، حيث صدر الحديث بعبارة تأسيسية للباب، يبني المباحث التفصيلية التالية عليها، ينقلها عن أبي القاسم الحسن بن محمد النيسابوري (406هـ) في كتابه (التنبيه على فضل علوم القرآن) والتي ينص فيها على أن للقرآن القرآن الكريم خمسة وعشرين قسماً باعتبار مكان النزول وزمانه، مقرراً ابتداءً أنها من أشرف علوم القرآن الكريم، ليصل في الختام لنتيجة أنه لا يحل لمن لا يعرفها أن يتصدى للتفسير، قال: **من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلاً، وما نزل نهارًا، وما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً، والآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكيات في السور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، وما نزل مجملاً وما نزل مفسراً، وما اختلفوا فيه فقال**

بعضهم: مدني. وبعضهم: مكي. فهذه خمسة وعشرون وجهًا من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى([7]).

هذا النقل هو حجر الزاوية لموضوع المكي والمدني لدى السيوطي، وقد سبقه في نقله الزركشي في البرهان([8])،لكنه أخره وقدم عليه نصاً مهماً جداً سنشير إليه لاحقاً يجيب فيه على سؤال مهم حول استمداد مبحث المكي والمدني، ورحم الله العلامة فضل حسن عباس معلقاً على قول النيبسابوري الآنف: وهذا القول لا يخلو من مبالغة وغلو([9]). دون أن يبين وجه الغلو والمبالغة، ولعلي لا أذهب بعيداً إن قلت: إن فيها ما يتجاوز الغلو والمبالغة، بل وما يعود بالضرر على الثقافة الإسلامية؛ فبعض آراء السيوطي في الاتقان، أو ما نقله دون اعتراض عليه واكتفى بالسكوت عنه توصف بأنها أقوال إشكالية في مبادئها، ثم في عوائدها.

ولقد ترددت في الكتابة في الموضوع حتى وجدت قولاً مهماً للشيخ محمد زاهد الكوثري يوافق ما كنت أحس به منذ أمد بعيد، فاطمأن قلبي لاحتمال صحة مذهبي حول بعض آراء السيوطي في الاتقان، لا سيما وأن الكوثري درَّس الإتقان مراراً وصرَّح بأنها كانت من الثغرات التي أغرت المستشرقين بتوجيه المطاعن للقرآن الكريم وللتراث الإسلامي عموماً، قال الغماري: وقد أخبرني صديقنا ومجيزنا العلامة المرحوم محمد زاهد الكوثري: أنه كان يدرِّس علوم القرآن لطلبة التفسير بجامعة استانبول بالأستانة وكان يعنى بالاطلاع على ما كتبه المستشرقون ليرد عليه

([7]) **الاتقان** للسيوطي، (34/1).

([8]) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1957 م، ص(192/1).

([9]) **إتقان البرهان في علوم القرآن**، فضل عباس (380/1).

وينبه إليه الطلبة، فكان يجد كثيراً من مطاعنهم يستندون فيه إلى تلك الآراء الشاذة والروايات الساقطة في كتاب الاتقان، وكان هذا من أسباب حملته الشديدة على مؤلفه، حتى كان هو والعلامة المرحوم الشيخ محمد سعيد العرفي لا يعترفان له إلا بإتقان علم العربية، دون سائر العلوم التي كتب فيها مؤلفات قيمة، يعتبرانها ملخصة من كتب غيره([10]).

ولم أجد من عرض للكثير مما في الاتقان بالدراسة والنقد، فحتى الغماري في رسالته في التعقيب على الإتقان اكتفى بالإشارة لرواية واحدة مما ذكره السيوطي في نوع المكي المدني متعقباً لها سنداً ومتناً([11])، وعليه فالغماري اشتغل بالفروع لا بالأصول، وإنني في مناقشاتي مع السيوطي سأشتغل بأصول الباب وأسسه، قلتُ: نعم هو من الموضوعات التي أطبق عليها الكاتبون في علوم القرآن الكريم، لكننا لم نجد نصاً واحداً من النبي صلى الله عليه وسلم يشير فيه لقسم القرآن المكي، أو لقسمه المدني، أو للفروقات بينهما، وسمات كل قسم منهما، أو الحديث عن أهميتها في التأسيس لعلوم التفسير، فضلاً عن أن تكون من أشرف علوم القرآن التي لا يحل لمن لا يعرفها أن يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى ([12]).

([10]) الغماري، عبد الله بن الصديق (1960م)، **الإحسان في تعقيب الاتقان للسيوطي**، دار الأنصار، ص (2).

([11]) المصدر السابق، ص (9). ولعل الغماري بهذا يشير للإصلاح الضروري الذي يحتاجه الاتقان، مكتفياً بالنَّمذجة ليسير عليها الباحثون من بعده.

([12]) القرآن الكريم أشرف وأقدس وأصدق كتاب لدى المسلمين، وإنما يتوجه حديثي لمبحث المكي والمدني لا من جهة اتصاله بالقرآن، فكل ما يتصل بالقرآن شريف عظيم كريم، ويستمد من كرامة وعظمة ذات كلام الله تعالى، لكنني أقصد من جهة قيمته بين أدوات التفسير التفسير وفهم كلام الله تعالى، ومراد النيسابوري ومعه السيوطي هو الشرف النابع من قيمته في علوم التفسير ودرجة احتياج المفسر له.

وفي هذا السياق يجيب الزركشي (794هـ) على سؤال مهم (في معرفة المكي والمدني): وهو: هل نص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بيان ذلك؟ وينقل عن القاضي أبي بكر في الانتصار: إنما هذا يرجع لحفظ الصحابة وتابعيهم، كما أنه لا بد في العادة من معرفة مُعَظِّمي العالِم والخطيب، وأهل الحرص على حفظ كلامه، ومعرفة كتبه ومصنفاته، من أن يعرفوا ما صنفه أولاً وآخراً، وحال القرآن في ذلك أمثل، والحرص عليه أشد، غير أنه لم يكن من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك قولٌ، ولا ورد عنه أنه قال: اعلموا أن قدر ما نزل بمكة كذا، وبالمدينة كذا، وفَصَّله لهم، ولو كان ذلك منه لظهر وانتشر، وإنما لم يفعله لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وكذلك الصحابة، والتابعون من بعدهم لما لم يعتبروا أن من فرائض الدين تفصيل جميع المكي والمدني، مما لا يسوغ الجهل به، لم تتوفر الدواعي على إخبارهم به، ومواصلة ذكره على أسماعهم، وأخذهم بمعرفته، وإذا كان كذلك ساغ أن يختلف في بعض القرآن هل هو مكي أو مدني، وأن يُعملوا في القول بذلك ضرباً من الرأي والاجتهاد، وحينئذٍ فلم يلزم النقل عنهم ذكر المكي والمدني، ولم يجب على من دخل في الإسلام بعد الهجرة أن يعرف كل آية أنزلت قبل إسلامه، مكية أو مدنية؟ فيجوز أن يقف في ذلك أو يغلب على ظنه أحدُ الأمرين، وإذا كان كذلك بطل ما توهموه من وجوب نقل هذا أو شهرته في الناس، ولزوم العلم به لهم، ووجوب ارتفاع الخلاف فيه([13]).

فإذا كان حال النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته رضي الله عنهم مع قضية الربط بين النجم القرآني النازل وجغرافية نزوله وزمنه على هذا النحو؛ فينبغي أن نعلم أن ذلك الترك لم يكن عن إهمال وسوء تقدير،وإنما لإدراكهم الكامل بأنه لا كبير قيمة لذلك العلم في التفسير، ولعل

([13]) **البرهان في علوم القرآن** للزركشي، (191/1).

موقفهم هذا من هذه القضية كان لاستشرافهم لنتائج هذا الأمر وتداعياته، كأن يستقر في النفوس أن القرآن الكريم تاريخاني، وهو ما وقع حقاً بسبب اللوثات الفكرية التي ساقها المستشرقون للثقافة الإسلامية واحتملوها إليها، عبر بوابة المرويات العجيبة والآراء الشاذة في الاتقان وغيره.

ثم اختزل ابنُ العربي المالكي (543هـ) في كتابه النالسخ والمنسوخ هذه الأنواع إلى عشرة، فقال: الذي علمناه على الجملة من القرآن أن منه مكياً ومدنياً وسفرياً وحضرياً وليلياً ونهارياً وسمائياً وأرضياً وما نزل بين السماء والأرض وما نزل تحت الأرض في الغار([14]). ويؤكد أن عرفانه بهذه الأقسام ليس تفصيلياً، ولا بالخبر الثابت المفضي لليقين. ليأتي من بعده ابن النقيب (698هـ) ليكون أكثر اختزالاً وتضييقاً للأقسام فيجعلها أربعة: المنزل من القرآن على أربعة أقسام: مكي، ومدني، وما بعضه مكي وبعضه مدني، وما ليس بمكي ولا مدني([15]). ثم اختُزلت القسمة في مصاحف المسلمين لقسمين فقط وهما المكي والمدني، بترجيح أن هذين الاصطلاحين بلحاظ الهجرة([16])، وبهذا يتبين لنا عدم الاتفاق على القسمة، مما يؤكد عدم السند إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو لصحابته الكرام رضي الله عنهم، مما يجعلها محل نظر وتأمل من حيث الأصل والأساس.

([14]) **الإتقان** للسيوطي، ص(22).

([15]) **الإتقان** للسيوطي، ص(22).

([16]) وهو ما رجحه السيوطي في الإتقان، ص(27). مع العلم أن التعريف لدى السيوطي غير مستقر وغير واضح، وهو يأخذ بالتعريفات الثلاثة عملياً.

لا شك فإن معرفة موضع نزول القرآن الكريم، والذي اصطلح عليه لاحقاً بالمكي والمدني قضية حسنة، ما بقيت في دائرة التحسينيات، فهي تشير لارتباط الأمة بكتابها وتعظيمها لأدق تفاصيله، فضلاً عما قد تثري به التفكير التفسيري، كأن تُعينَ في تَعيينِ بعض الاحتمالات، وترجيح إحدى المعاني الممكنات، لكنها لن تكون تأسيسية في بناء منظومة المعاني القرآنية، وتحديد المقاصد وبيانها، ولا يمكن الاعتماد عليها ركناً مستقلاً في ترسيم الأطر المفاهيمية للقرآن الكريم، ذلك أن القرآن الكريم لا ينطلق في منظومته القيمية والتربوية على أساس الجغرافيا والتاريخ، ولن نجد نصاً واحداً فيه يرتهن فهمه لمعرفة الزمان والمكان، ولو كان ذلك كذلك لما سكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده، لما فيه من التعطيل لوظيفة البيان التي أمر الله تعالى بها نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، حينها سنفهم وجه الغلو والمبالغة بل ومجانبة الصواب في قول النيسابوري عن المبحث: (**هو من أشرف العلوم**).

وبالعودة للأقسام التي أشار إليها النيسابوري، وأقره عليها السيوطي([17])، فإننا سنجد في قسمته جملة من الإشكالات، ومن أهمها أننا لا نجد مفهوماً واضحاً للكثير منها، كما في القسم الذي قال عنه: (**وما نزل ليلاً وما نزل نهاراً وما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً**). أو (**وما حمل من مكة إلى المدينة وما حمل من المدينة إلى مكة وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة**) فما مفهوم هذه الأقسام، وما الفوائد في معرفتها، وما قيمتها في توضيح المعاني وتبيينها، وما الشيء الذي يتوقف فهمه على هذه المعارف، لا سيما حين نجد سهام الطعن تصوب إلى القرآن الكريم من جهتها، كالزعم بالتاريخانية، سواء تنبه المستشرقون لها أم غفلوا عنها، فالقرآن النازل ليلاً هو نازل في النهار أيضاً، فحين كانت بعض جهات الأرض ظلاماً كانت الجهات المقابلة لها نهاراً،

([17]) **الإتقان** للسيوطي، ص(21).

والقرآن لكل الأرض ولكل سكانها، لأنه كلام الله تعالى، وهو صورة صلته بكل خلقه من جهته هو، وهو خطابه العام المطلق الكلي، ولا تتقيد أفعال الله تعالى بزمن الليل أو النهار، إلا لبيان ما يتعلق بأحوال الأفراد، ومن جهتهم، كما كلَّم موسى عليه السلام ليلاً، وأسرى بنبيه صلى الله عليه وسلم ليلاً، فهما بشر يتخالف لديها مفهوم الليل عن مفهوم النهار، وآثار الأفعال حين تكون في الليل أو في النهار، وحين تحدث القرآن عن وظيفة الليل والنهار والوظائف الطبيعية للمخلوقات فيهما فإنه حينها يتحدث عن مخلوقاتٍ، وأفعالهم، وهو شيء مغاير تماماً لحديث القرآن عن أفعال الله تعالى، ولو قبلنا قسمة السيوطي فإنه لن نعجب لو قال قائل: كل القرآن نزل ليلاً، بدليل قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ**﴾(الدخان:3)، ومثلها سورة القدر، لكن ليس ثمة من قال به، وهذه القسمة من أكثر الأشياء التي تسعف القول بالتاريخانية، ففي جعلهم معرفة الليلي والنهاري شرط للتفسير تصريح بأنه عرفان مؤثر في دلالة الكلام، ويغير محامل القول والتراكيب، وكأن المفسر حين يعلم أنه قرآن نهاري سيحمله على وجوه مغايرة للتي ستكون عليه لو كان ليلياً، وهو قول لا يقول به أحد من أهل العلم.

وقول النيسابوري: **(وما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً)**، أشد غرابة، وكأنه يشير لفضل بعض القرآن على بعض، والقرآن لدى جمهور أهل السنة لا يتفاضل، وهو في رتبة واحدة من الاعجاز، والتحدي، والنسبة لله تعالى، وحامليته لأدلة صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وقدرته على اصلاح الدنيا والآخرة في كل زمان ومكان، وليس ثمة صلة بين المعاني القرآنية بما فيها من الأحكام الشرعية العملية التطبيقية وبين هذه القسمة أو هذا الاعتبار، ولو سلمنا بتفاضل بعضه على بعض فما صلة هذا بتفسير القرآن الكريم، ليكون شرطاً للمفسر.

وبذات الغرابة بل وأشد قوله: **(ما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة)** فهل يوجد قرآن نزل في مكة ولم يحمله الصحابة معهم إلى المدينة، لنفرد هذا النوع بالتصنيف، وهل ترك الصحابة المهاجرون للحبشة شيئاً من القرآن لم يكرروه ولم يتلوه في صلواتهم وهم في الحبشة، لنخصص بعض المكي أو المدني بأنه مما حمل للحبشة، وأي شيء يسعف أهل التاريخانية أكثر من هذه القسمة. والتي يلزم عليها أن الصحابة الذين حملوا بعض القرآن للحبشة إنما فعلوا ذلك لأن القرآن جغرافي تاريخي قومي، فنقلوا ما يظنونه مناسباً لمخاطبة أهل الحبشة، وتركوا ما لا يصلح لحالتهم، ولئن كان القصد بأن المراد بالحمل هو ما نقله الصحابة في تنقلهم خلال البلاد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يكون النبي هو الناقل والحامل فهو غريب جداً، وعليه فكل القرآن محمول ومنقول، بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (بلغوا عني ولو آية)([18]). فالنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أمر بالحمل والتبليغ، ولكل أحدٍ، ولكل مكان، ثم لم نجد من اشتغل ببيان ما حَمَلَ وما نَقَلَ وما بلَّغ، أو تخصيصه بشيء دون غيره من القرآن الكريم مما لم يحمل أو ينقل أو يبلغ.

ومن العجائب قوله: **(وما نزل بمكة في أهل المدينة وما نزل بالمدينة في أهل مكة)**، وهي قسمة تعارض قاعدة تفسيرية لدى عموم علماء السلف والخلف، ونصها: **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب**، والتي ما قال بها العلماء إلا للتخلص من القول بالتاريخانية، وأي شيء يمكن أن يسعف المستشرقين ليقولوا بالتاريخانية والإقليمية القرآنية أكثر من هذا القسمة الغريبة، التي جعلت بعض القرآن خاصاً بسكان مكان خاص، وإن نزل في مكان غير مكانهم، مع العلم

([18]) **صحيح البخاري**، بَاب مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، (1275/3).

أن السيوطي يقول بقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب([19]). وهو بهذه القسمة أشبه بأن يخالف نفسه.

ومن ذلك أيضاً القسم الذي قال فيه: **(والآيات المكيات في السور المدنية)** وليس شيء يثبت في ذلك، ويعجبني تعليق ابن حجر في هذا النوع، حيث قال في شرح البخاري: قد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية، وأما عكس ذلك وهو نزول شيء من سورة بمكة تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة فلم أره إلا نادراً فقد اتفقوا على أن الأنفال مدنية، لكن قيل: إن قوله تعالى ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾ الآية، نزلت بمكة ثم نزلت سورة الأنفال بالمدينة، وهذا غريب جداً، نعم نزل من السور المدنية التي تقدم ذكرها بمكة ثم نزلت سورة الأنفال بعد الهجرة في العمرة والفتح والحج ومواضع متعددة في الغزوات كتبوك وغيرها أشياء كثيرة كلها تسمى المدني اصطلاحاً والله أعلم ([20]). وعند النظر في ما ذكره السيوطي تحت باب: **(فصل: في ذكر ما استثني من المكي والمدني)** لن نجد ما يمكن القطع به أو التسليم له، وهو ينص في أكثرها على ذلك.

ومن العجائب قول النيسابوري: **(وما يشبه نزول المكي في المدني وما يشبه نزول المدني في المكي)**([21]) وعليه ملحظان أساسيان: الأول: يدرك من عموم كلام النيسابوري، أن الأصل هو عدم التفريق بين المكي والمدني، وقوله: **(وما يشبه نزول المكي في المدني وما يشبه نزول**

([19]) **الإتقان** للسيوطي، ص(89).

([20]) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (852هـ)، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار المعرفة – بيروت، 1379م، ص(41/9).

([21]) **الإتقان** للسيوطي، (47/1) .

المدني في المكي) أخص وأعرق في الدلالة على تلك الفوارق، ثم خالفت بعض المواضع هذه الضوابط الأغلبية، فوجدنا أن في المدني ما خالفها وقفز على تلك الفوارق؛ فشابه المكي، وكذلك الحال في المكي حين شابه المدني، فهل الأمر كذلك، أم الأصل التشابه، والتخالف هو الاستثناء، هذا إن قبلنا بوجود تخالف، وقبل ذلك لابد من تحرير قضية التشابه والتخالف؛ فما المقصود بالتشابه، أفي الموضوعات، أم في النظم، أم في أدوات الخطاب، أم في شخوص المخاطبين وأنواعهم؟

فأما من حيث الموضوعات فمن المنطقي عدم التشابه، لأن القرآن في كل مرحلة يعالج قضايا مختلفة، والقرآن لا يلجأ للتكرار؛ فالمرة الواحدة كافية للتبليغ والإعذار، وسنجد دوماً في كل موضع –ظاهره التكرار– جديداً مناسباً للسياق الذي يرد فيه، كما أن الحالات التي اقتضت نزول القرآن المكي متكررة في كل عصر ومصر، وليست مقصورة على أهل مكة، وفي كل عصر ومصر سيكون من طوائف البشر ما يناسبهم الخطاب القرآني الذي يطلق عليه المكي، كما سيكون كذلك فئات أخرى يناسبها الخطاب القرآني الذي يطلق عليه المدني، لأن القرآن الكريم يعالج مشكلات بشرية لا تتخالف مع تغير الزمان والمكان، أو اختلاف الأعراق والأجناس والألوان، أو تعدد الثقافات والعادات، وفي هذا المعنى يقول سيد قطب حول مشاهد يوم القيامة في القرآن: من والعجيب حقاً أن تعدد هذه المشاهد — وأساسها واحد – لم ينشىء نوعاً من التكرار؛ فكل مشهد يختلف عن سابقه في كلياته أو جزئياته، وذلك لون من الإعجاز شبيه بالإعجاز في خلق الملايين من الناس، كلهم ناس، ولكن لكل سحنة وسمة، في هذا المتحف الإلهي العجيب([22]).

([22]) قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (1966م)، **مشاهد القيامة في القرآن**، دار الشروق،ط14، ص (11).

أما من حيث قصر الآيات وطولها فذلك تبع لطبيعة الموضوع المتناول، وموضوعات القرآن المكي اقتضت في غالبها ذلك الأسلوب الخاطف السريع، كما أن طبيعة المخاطبين وقرب عهدهم بالقرآن اقتضى ذلك أيضاً، ليكون أسهل منالاً وأقرب للفهم، وهي قضية لا تختص بأهل زمان معين، ففكي كل عصر سيلجأ الدعاة لمخاطبة العوام والبسطاء وحديثي العهد بالإسلام بالسور القصار ذات الآيات القصار، ومع ذلك فقد وجدنا بعض القرآن المدني آياته قصيرة كما في سورة المطففين، والتي وقع فيها خلاف كبير، لكن قسماً عريضاً من العلماء يعدها في المدني، وسورة الأنعام مكية وآياتها طوال، أما جهة النظم والبلاغة، فلا أظن الأمر محتاج للبيان.

والثاني: أنه قول ينبغي لمن يسلم له أن يبطل كل ما قيل عنه (ضوابط المكي والمدني)، أو في أقل تقدير أن يكون منها على وجل يحول بينه وبين الاطمئنان لأي قول في تحديدها، فالمكي والمدني متشابهان في بعض الأحيان، دون تحديد تلك الأحايين، ودون وجود ما يقطع بمواضعها وعددها، ولن نجد حداً فاصلاً بينهما، إلا ما كان من ثمرة للاجتهاد ومحاولات التفريق من بعض العلماء الذين اختلفوا فيما بينهم في الكثير من المواضع، ولا أدل على ذلك من خلافهم العريض في سورة الفاتحة وهي أمُّ القرآن، فمن قائل هي مكية وهم الأكثرون، ومنهم من قال بمدنيتها، ومنهم من قسمها لقسمين؛ فشطرها الأول مكي والثاني مدني، كما حكاه أبو الليث السمرقندي، ومنهم من قال بتعدد النزول مبالغة في تشريفها([23]). ومثلها سورة المطففين والحديد وغيرها كثير، وعند التأمل فيما وقع فيه خلاف سنجد عجباً يفضي لما قلته آنفاً، وهو فقد الثقة بكل الضوابط، أو الوجل منها بصورة كبيرة، فمثلاً سنجد أن السيوطي ينقل عن الجعبري أنه

([23]) **الإتقان** للسيوطي، ص(26).

قال بمدنية سورة ص، خلاف حكاية الجمهور، وبالمقابل نقل قولاً عن أبي حفص النسفي وصفه بالغريب زعم فيه أن سورة محمد مكية([24]). وكذلك نقل خلافاً في سورتي الملك والإنسان وأن هناك من يقول بمدنيتهما([25])، وأمثال ذلك كثيرة جداً، فضلاً عما وقع من خلاف عريض في نجوم السورة الواحدة وأبعاضها، متى نزلت وكيفية ترتيبها، ولا شك فهو الأصعب والأبعد منالاً، قال ابن الحصَّار: وكل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة، إلا أن من النَّاس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل([26]).

وأي عقل يقبل أن يُمنع من التفسير من لا يعرف **الصيفي والشتائي والحضري والسفري، والفراشي والنومي، والأرضي والسمائي**، وأين الأمثلة القرآنية التي يتوقف فهمها على عرفان هذه القضايا، لنجعلها من المعينات على الفهم فضلاً عن أن تكون من علوم القرآن، بله أن تكون من أشرف علومه.

ولعل من الأمثلة في ذلك سورة العاديات حيث ورد خلاف في تصنيفها، أخرج الطبري في تفسيره عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس حدثه قال: بينما أنا في الحجر جالس، أتاني رجل يسأل عن: ﴿**الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا**﴾ فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فانفتل عني، فذهب إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن﴿**الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا**﴾ فقال: سألتَ عنها أحدًا قبلي؟ قال:

([24]) النسفي، أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد (1142هـ)، **التيسير في التفسير**، دار اللباب/ إسطنبول، ت: ماهر أديب حبوش وفادي المغربي، ط1، 2019م، ص(407/13).

([25]) **الإتقان** للسيوطي، ص(26).

([26]) المرجع السابق، ص(31).

نعم، سألت عنها ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله. قال: اذهب فادعه لي. فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به، والله لكانت أول غزوة في الإسلام لبدر، وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبحاً! إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى مزدلفة إلى منى. قال ابن عباس: فنزعت عن قولي، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه([27]). وموضع الشاهد في القصة هو استناد علي رضي الله عنه في تفسير الآيات على التاريخ والأحداث، وأنه لم يكن في مكة قتال ولا خيل تعدو في ميدانه، وأرجع المعنى لما يمكن في مكة وهو مناسك الحج، لكننا سنجد ذات الطبري لا يقبل التفسير التاريخي، أو ربط القضية بأحداث مخصوصة، لذا فقد رجح قول ابن عباس، فقال: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: عني بالعاديات: الخيل، وذلك أن الإبل لا تضبح، وإنما تضبح الخيل، وقد أخبر الله تعالى أنها تعدو ضبحاً، والضبح: هو ما قد ذكرنا قبل. وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل([28]).

إن الإنسان بنفسيته، وقالبه، وطبيعته، وظروفه، وغيرها من العوامل التي تؤثر في تشكيل عقله، وتوجيه قلبه، هي القضايا التي يعتبرها القرآن الكريم في مخاطباته، وإرسال رسائله، وتدرجه في التربية والبناء وصناعة الإنسانية، وما تقسيم القرآن الكريم إلى مكي ومدني وما نزل في بيت المقدس، والطائف، وتبوك، وغيرها مما أشرنا إليه إلا مبالغة من الأمة في تعظيمها لكتاب ربها تعالى، ولبيان شدة حرصها عليه، وعنايتها بأدق تفاصيله، ولا ينبغي أن يزعم زاعم بأنها مسائل

([27]) الطبري، محمد بن جرير (311هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مكتب التحقيق بدار هجر، ط1، 1984م، ص (345/15) .

([28]) المصدر السابق (345/15) .

أساسية لا يقوم التفسير إلا على كتفيها، أو أنه لا يمكن أن يفهم القرآن الكريم إلا في ضوئها، فهل من مدعٍ أن القرآن الكريم الليلي حفَّته مقتضيات ألزمته أن ينزل في الليل لا في النهار، أو أن الشتائي أحيط بظروف خاصة جعلته محكوماً بالنزول في الشتاء دون الصيف، أم هل القرآن المقدسي متعلق ببيت المقدس دون غيره من الجغرافيا، أو أن التبوكي كذلك، أو الطائفي والحديبي وغيره، ليقول قائل من بعد إن المكي والمدني متعلق بالزمان والمكان، وأن هناك ظروفاً ديموغرافية أو جغرافية أو تاريخية حملت المكي كي ينزل في مكة، أو ألزمت المدني كي يكون مدنياً، ومن خلال هذا ندرك الخطأ الجسيم الذي وقع به السيوطي في نقله لهذه القسمة وقبوله لها، ليفتح على الأمة بعد ذلك ناراً من المستشرقين مثل جولد تسيهر وجاك بيرك ومكسيم رودنسون والحداثيين كنصر حامد أبو زيد ومحمود محمد طه والطيب تيزيني وغيرهم، وسنحتاج زمناً طويلاً لإطفائها، فهذا نصر حامد أبو زيد مثلاً يقول: سبقت لنا الإشارة في التمهيد إلى أن التفرقة بين المكي والمدني في النص تفرقة بين مرحلتين هامتين ساهمتا في تشكيل النص، سواء على مستوى المضمون أم على مستوى التركيب والبناء، وليس لذلك من دلالة سوى أن النص ثمرة للتفاعل مع الواقع الحي التاريخي، وإذا كان علم (المكي والمدني) يكشف عن الملامح العامة لهذا التفاعل فإن علم أسباب النزول سيكشف عن تفاصيل هذا التفاعل ويكاد يزودنا بالمراحل الدقيقة لتشكل النص في الواقع والثقافة([29]).

المبحث الثالث: ضوابط المكي والمدني لدى السيوطي في الميزان

ذكر السيوطي أن القوم اختلفوا في تعريف المكي والمدني على ثلاثة أقوال:

([29]) أبو زيد، نصر حامد (2010م)، **مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن**، مكتبة الفكر الجديد، المركز الثقافي العربي، ط1، 2014م، ص(75).

فأما الأول: المعيار الزمني المتعلق بالهجرة، وهو ما رجحه صاحب الاتقان([30]).

والثاني: اعتمد معيار المكان؛ فمن القرآن ما هو مكي، ومنه مدني، ومقدسي إلى غير ذلك من الأماكن.

وأما التعريف الثالث: فاعتمد المعيار القومي أو القبلي، وممكن أن نسميه معيار المخاطبين، فما كان خطاباً لأهل مكة فهو مكي، والمدني ما كان خطاباً لأهل المدينة([31]).

وبالرغم من ترجيح السيوطي للقول الأول غير أنه في حقيقة الأمر كان مضطرباً في ذلك؛ حيث اعتمد التعاريف الثلاثة وجمع بينها، وهذا ما طبَّقه حقيقة في كتابه، ويظهر ذلك جلياً بنقله لقول النيسابوري على جهة القبول، وهو الذي جعل القسمة زمانية مرة، وبعضها بحسب المكان، وبعضها بالنسبة للمخاطبين، صحيح أنه اعتمد الضابط الزماني كأصل عام، كما في بيانه للسور المكية والمدنية ونقله لقصيدة ابن الحصَّار في ذلك، لكنه لم يترك ما يتعلق بالتعريف الثاني وهو المكان، فجعل عناوين خاصة للسفري والحضري والأرضي والسمائي، ليدل على قبوله للتعريف المكاني([32])، وكذلك اعتمد التعريف الثالث، المرتكز على المعيار الشخصي وبحسب المخاطبين، وهذا يظهر بجلاء في عنوان (ضوابط المكي والمدني)، وهو ما سنتوسع في نقاشه في هذا الفصل بإذن الله تعالى.

([30]) **الإتقان** للسيوطي، ص (27) .

([31]) المرجع السابق، ص (22) .

([32]) المرجع السابق، ص (48) .

والنتيجة المهمة مما مضى أن السيوطي جمع بين التعاريف الثلاثة عملياً، وإن لم يفعل ذلك نظرياً، وهو ما يدل على التباس في القضية بصورة من الصور، فإذا كان السيوطي يعتبر المعيار الزماني فلأي سبب اشتغل في صفحات طويلة في كتابه ببيان الأقسام التي تخالف القول الراجح لديه وتثبت أقساماً من غير المكي والمدني! والظن عندي أن الآفة في ذلك تعود للنقل دون تمحيص كما أشار لذلك الشيخ الكوثري والشيخ محمد سعيد العرفي، وقد أشرنا فيما مضى لقولهما، وقد وافقهما في ذلك خلق كثير، فوصفوا السيوطي بأنه حاطب ليل وجارف سيل رحمه الله تعالى وتقبله في الصالحين([33]).

لقد عنون السيوطي عنواناً فرعيًا في نوع المكي والمدني سماه (**ضوابط المكي والمدني**)، وعند التدقيق فيه لن نجد شيئاً منها منضبطاً ولا مطرداً، وأول ضابط أشار إليه:

- ما يتعلق بالنداء، فما كان ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ أنزل بالمدينة، وما كان ﴿**يا أيها الناس**﴾ فبمكة([34]). قلتُ: النداء بـ ﴿**ياأيها الناس**﴾ ورد في موضعين في سورة البقرة وهي مدنية، وذلك في الآيتين: (21و 168)، وفي النساء في أربعة مواضع، (1، 133و170و174)، وآخر مرة في سورة (الحجرات:13)، فإذا علمنا أن عدد مرات ورود النداء بـ ﴿**يا أيها الناس**﴾ في القرآن الكريم هو ثماني عشرة مرة، ستة منها في القرآن المدني، أي الثلث تماماً، فإننا حينها لا ينبغي أن نجعل هذه سمة للقرآن المكي، بل ينبغي القول: إن القرآن

([33]) منهم شهاب الدين الألوسي (127هـ) في كتابه (غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب)، وأبو المعالي الألوسي (1342هـ) في موضعين من كتابه (غاية الأماني في الرد على النبهاني) والشيخ محمد رشيد رضا (المتوفى: 1354هـ) في تفسير المنار وغيرهم.

([34]) **الإتقان** للسيوطي، ص (36) .

الكريم عبر بها حيث استدعى المقام ذلك، وبما يناسب فكرته ومشروعه الإصلاحي، ناظراً للجنس الإنساني عموماً في كل زمان ومكان. وعليه فهو ضابط غير منضبط ولا يمكن التعويل عليه، وقد انتقده أبو بكر الباقلاني فقال: هذا الذي ذكروه إن كان الرجوع فيه إلى النقل فمُسلَّم، وإن كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فهذا ضعيف، لأنه يجوز أن يخاطب المؤمنين مرة بصفتهم، ومرة باسم جنسهم، وقد يؤمر من ليس بمؤمن بالعبادة، كما يؤمر المؤمن بالاستمرار على العبادة والازدياد منها، فالخطاب في الجميع ممكن([35]). ولا شك فلا يوجد نقل صحيح صريح في هذا الأمر يبين بشكل واضح تفصيل القرآن الكريم إلى مكي ومدني. وقال ابن الحصار معقباً على الحديث العمدة في الباب: قد اعتنى المتشاغلون بالنَّسخ بهذا الحديث واعتمدوه على ضعفه، وقد اتفق الناس على أن النساء مدنية وأولها ﴿**يا أيها الناس**﴾ وعلى أن الحج مكية وفيها ﴿**يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا** ﴾([36]). ومما مضى يتبين أنه ضابط غير منضبط، وليس من الصواب التعويل عليه، لا سيما وأن الكثير من السور التي فيها النداء بالصيغتين من المختلف في مكيتها ومدنيتها، وحتى السور التي غلب على الظن أنها مكية فلا ندري كم نزل منها في المدينة بعد الهجرة، وهل ورد فيه النداء بالإيمان أم لا؟ ومن ذلك ما ورد في سورة الجاثية وهي مكية، قال تعالى: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)** ﴾، فهو نداء بالإيمان في السورة المكية، وكذلك قوله تعالى في الزمر المكية: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي**

([35]) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر (606هـ)، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربى/ بيروت، ط2، 1992م، ص (320/2) ،السيوطي، **الاتقان**، ص (37) .

([36]) **الإتقان** للسيوطي، ص (37) .

هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ... ﴾(الزمر:12)، وهذا نداء بالإيمان أيضاً في سورة مكية، وغيرها من الأمثلة الكثيرة، التي من أشهرها ما ورد في سورة الحج: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77)** ﴾، فكيف نعول على هذا الضابط، إلا على وجه من الظن لا يمكن أن يعول عليه.

وهذا من جهة الروايات، أما جهة الرأي والعقل فهو قول يفضي للتاريخانية ولو بطريق غير مباشر، لا سيما من ظاهر العبارة المستخدمة لدى السيوطي: والصواب أن يقال: المكي خطاب لمن حالهم كحال أهل مكة، كما أن القرآن المدني خطاب لمن حالهم كحال أهل المدينة، وهما الحالتان اللتان لا ينفك عنهما مجتمع من المجتمعات، أقصد فيما يتعلق بالعقائد والإيمان، فكل الناس عبر التاريخ بين كافر وشرك أو مؤمن وتقي أو ما بينهما، أما تعبير السيوطي فيدل على الارتباط بين النازل والقوم النازل فيهم وجغرافيتهم وظروفهم، قال السيوطي ناقلاً عمَّن لم يسم: الأقرب حمله على أنه خطابٌ المقصود به أو جل المقصود به أهل مكة أو المدينة([37]).

وهي صورة من التأطير القصري للقرآن الكريم بما لا يمكن أن يكون إطاراً ناظماً له، وأقول في الرد عليه وعلى غيره من الضوابط: إن المحددَينِ للنجم القرآني النازل وموضوعه وطريقته وأسلوبه قضيتان أساسيتان، هما:

الأولى: الخطة القرآنية القديمة، ومرادات المشروع القرآني وغاياته الأزلية، سواء أكانت التكتيكية المرحلية القريبة، أم الاستراتيجية الأصيلة البعيدة، فمن الثانية بناء الدولة، وصناعة القيم الفاضلة، وإقامة العدل، وتحقيق المقاصد الكبرى، ومن التكتيكية المرحلية تأليف قلوب

([37]) **الإتقان** للسيوطي، ص (37) .

مدمني الخمر بالسماح لهم بمعاقرته خارج أوقات الصلاة، وذلك لفئات خاصة من الذين يعسر عليهم ترك المسكرات بشكل مباشر، سواء لأسباب نفسية أم عضوية، مما يقتضي التدرج معهم في ذلك، تدرجاً هادئاً عاقلاً، بحسب طبيعة المخاطبين وصفاتهم، ومراتبهم في قربهم أو بعدهم عن الإسلام خاصة، وعن التدين بالعموم، وهو تدرج لا يختص بزمان، أو فئة، أو مكان، بل هو قابل للتطبيق في كل وقت وفي كل بيئة، ولو أن شخصاً من غير المسلمين أراد الدخول في الإسلام، ثم منعه من ذلك الموازنة بين الإسلام ككل، وخشيته الاضطرار لترك الخمر، بسبب الدعوى الإسلامية المشهورة بأنه لا يدخل الجنة مدمن مخمر([38])، فإنه يسعنا أن نعامله بالذي عامل به القرآن ذلك الجيل من عرب قريش، الذين تدرج معهم في تحريم الخمر، وهو الأمر الذي طبقه النبي صلى الله عليه وسلم مع من أسلم من نصارى اليمن، وقد كانت الدولة في المدينة قائمة قوية مستقرة، يحكمها الإسلام، ويطبق فيها الشرع الحنيف، لكن الحالة اليمنية كانت جديدة، مما اقتضى أن يعيد الفقه الإسلامي معهم دورة التدريج التشريعي بما يناسب حالهم، على وجه يكشف عن عدالة الإسلام، وأنه على مسافة واحدة من الجميع، فلا يحابي جيلاً دون جيل، ولا يعطي امتيازاً لأمة الصحابة على سواهم، ممن هم أحوج منهم للتدرج والمراعاة، فهم مظنة الخضوع والالتزام أكثر من غيرهم، مع ذلك فقد راعى التشريع أحوالهم، وصعوبة التحول الفكري والاعتقادي لديهم، وهو كذلك في كل جيلٍ، ولكل أمة، وقصة بعث النبي صلى الله

([38]) إشارة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر. النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (303هـ)، **المجتبى من السنن**، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، 1986م، ص(318/8).

عليه وسلم معاذاً لليمن مشهورة([39]). فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالتدرج معهم في أهم الأركان، وفي أصول الدين وأعمدته، فكيف بسواه من الأحكام والفروع، ويبقى على علماء كل جيل وعصر أن يحسنوا تنزيل الأحكام في واقعم، بعد القراءة الدقيقة لأحوالهم وحاجات أممهم، في فهم دقيق للثوابت والمتغيرات، وتفريق صحيح بين التدريج والميوعة، وتوازن منهجي بين المصالح والمفاسد، بلا إفراط أو تفريط، بل توسط محمود بين الطغيان والإخسار، وحساسية عالية بين الوكس والشطط، بطريقة تظهر صلاحية الإسلام وشموليته وعالميته وربانيته.

الثانية: تلك النفوس البشرية المستهدفة بالخطاب القرآني، النازل لإصلاحها، أو الحديث عنها، أو توجيهها، وتعزيز إيجابياتها، أو التحذير من أمراضها، أو وعدها بالفوز والثواب، أو تهديدها بالخسران والعذاب، ولقد تنوعت النفوس في مكة بصورة واسعة جداً، لتكون كالنماذج لكل النفوس البشرية في كل مكان، فتنوعت حاجاتهم للخطاب القرآني، وكان القرآن الكريم عند الموعد، يتنزل في الغاية من البلاغة، مناسباً لمقتضى الحال، مراعياً للفروق البشرية، والتنوع الواسع فيها، والتعدد في قوالبها، والاختلاف في طبائعها، فقد توسع في مخاطبة الناس عموماً دون أي إشارة تدل على تخصيص مشركي العرب في مكة، وهو الأمر الظاهر في الخطاب القرآني الذي يمكن تأطيره زمنياً: بمرحلة ما قبل الهجرة، ومكانياً: في مساحة مكة المكرمة، ولعلنا لو افترضنا زماناً غير تلك الفترة، ومكاناً آخر سوى مكة المكرمة لبداية النجوم القرآنية الأولى فلا أظن أن أحداً سيقترح طريقة للخطاب، أو موضوعات سوى التي تضمنها ذلك القرآن النازل في تلك الفترة وتلك الجغرافيا، من الدعوة لنبذ التقليد، وترك الشرك، وتوحيد الله، وتوقير الأنبياء، وامتثال

([39]) متفق عليه، واللفظ لمسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (261هـ)، **الجامع الصحيح**، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة. بيروت، ط3، 1994م، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، (37/1).

الكتب السماوية، بالإضافة للتأكيد على البعث والنشور، والتحذير من اليوم الآخر وما أعده الله تعالى من العذاب للكافرين، والتبشير بما وعد به عباده المؤمنين من الفوز بالجنة والنعيم، يستوي في ذلك المشرك والملحد على السواء، ويدخل فيهم أهل الكتاب أيضاً، فهم مشركون من جهة من الجهات، كما وصفهم القرآن الكريم: ﴿ **اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)**﴾(التوبة)، وقال تعالى: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (91) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (92)** ﴾(المؤمنون)، وفي الموضعين وصف صريح لهم بالشرك، ليستغرقهم الخطاب النازل في مرحلة ما قبل الهجرة في كثير من التفاصيل، وقد وجدنا شيئاً من القرآن المكي يصرح بذكر أهل الكتاب، كما في سورة البينة، التي نقل ابن عطية أن الأكثرين على القول بمكيتها([40]). وهي كذلك عند السيوطي([41]). وهو الصواب، وإنما ذكرت السورةُ أهل الكتاب وتَفرّقهم عن النبي بعد إتيان البينة تنويهاً بالعرب الذين كانوا على الشرك، ثم لم يتفرقوا عن رسول الله كما فعل أهل الكتاب، بل ظهر منهم الوفاء بوعدهم، وإن تأخر الكثير منهم فترة من الزمن، لكنهم ما لبثوا أن دخلوا في دين الله أفواجاً، وعام الفتح معلوم، ثم من بعده عام الوفود، حيث أسلم فيهما الجم الغفير، وكذلك جلُّ الصحابة لم يكونوا من أهل الكتاب، ولا نعلم من أهل الكتاب من أسلم إلا نفراً قليلاً، ولا بد من التنبيه على أن القرآن النازل قبل الهجرة ذكر أهل

([40]) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (541هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، دار الكتب العلمية/ بيروت، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، 2001م، ص(507/5) . والذي يبدو لي أن الجمهور على خلاف ذلك، فهم على القول بمدنيتها، ولعله يقصد جمهور العلماء في بلاده ممن اطلع على أقوالهم وأكثرها لم يصلنا.

([41]) **الإتقان** للسيوطي، (45/1).

الكتاب وبني إسرائيل كثيراً، كما في سورة المزمل: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (15)**﴾، وهي من أوائل ما نزل في مكة المكرمة، وقبل المزمل ورد ذكرهم صراحة في سورة المدثر، وهي التي من أوائل ما نزل على قلب الحبيب صلى الله عليه وسلم: ﴿ ... **وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ...(31)**﴾(المدثر).

وقد ورد ذكر اليهود والنصارى في سورة الفاتحة، وهي مكية على الأشهر([42]): ﴿**غَيْرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ (7)**﴾، وقد نص الطبري على أنه لا خلاف في أنهم اليهود والنصارى([43]).

ومن أشهر المكي النازل في أهل الكتاب سورة الإسراء، ومن العجيب أن نجد مناع القطان([44]) وصبحي الصالح([45]) وغيرهما يعدون ذِكر أهل الكتب من الفروق بين المكي والمدني، وأن القرآن المكي لا يتعرض لمناقشة أهل الكتاب، وهو القول الذي يجانب الصواب، فإن من أشهر عقائد اليهود والنصارى زعمهم الولدَ لله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ**﴾(التوبة:30)، ولم يرد مثل هذا القول عن مشركي العرب، ولقد رد الله مقالتهم في القرآن المكي في سورة الإخلاص: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ**

([42]) **الإتقان** للسيوطي، (40/1).

([43]) **جامع البيان** للطبري، (180/1وما بعدها).

([44]) انظر القطان، مناع بن خليل (1999م)، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، ط11، 2000م، ص(63)، والصالح، صبحي إبراهيم (1986م)، **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملايين، ط24، 2000م، ص(75).

([45]) **جامع البيان** للطبري، (180/1وما بعدها).

(2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾، وهي سورة مكية على الأشهر كما قاله ابن عاشور([46]).

ولئن اختلفوا في سورة الإخلاص فالكل متفق على مكية سورة مريم: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا**﴾.

- ومما يزعم أنه من سمات القرآن المكي خلوه من ذكر المنافقين، وأن القرآن المدني هو الذي يتسم بذكرهم([47])، غير أننا سنجد أن الأمر ليس كذلك وأن القرآن المكي ذكر المنافقين وبعض صفاتهم، ومن ذلك ما ورد في سورة الماعون: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)**﴾، ولا شك فإنها تتحدث عن المنافقين، قال الطبري: وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يستبطنون الكفر، ويُظهرون الإسلام، كذلك قال أهل التأويل([48]). ويشهد لكونها في المنافقين آية سورة النساء التي تتشابه كثيراً مع آياتها، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ**

([46]) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (1973م)، **التحرير والتنوير**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 2000م، ص(533/30).

([47]) قال الزركشي في **البرهان**: وكل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية سوى العنكبوت. (187/1)، ونقله السيوطي كذلك في **الاتقان**، ص(37) .

([48]) **جامع البيان** للطبري، (369/15).

قَلِيلاً﴾(النساء:142)، فالحديث عن المنافقين وأحوالهم مع الصلاة، وكيف أنهم يضيعونها، فإذا كان لابد من أدائهم للصلاة لسبب أو لآخر، كوجودهم مع المؤمنين في وقت دخول الصلاة، فإنهم لا يؤدونها إلا رياءً وكذباً، وكذلك كان الحال في سورة الماعون تماماً، حيث جمع بين تضييع الصلاة والرياء.

وفي موضع سورة المدثر كذلك كان الحديث عن المنافقين حيث جمع بين تضييع الصلاة وترك الأمر بإطعام المساكين، وهو كذلك كما في سورة الماعون: ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ 42 قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ 43 وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ 44 وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ 45 وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ 46 حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ 47**﴾(المدثر). والأظهر أن المجرمين في الآية هم من المنافقين، قال ابن عاشور: وهو سؤال موجه من بعض أصحاب اليمين إلى ناس كانوا يظنونهم من أهل الجنة، فرأوهم في النار، من المنافقين، أو المرتدين، بعد موت أصحابهم([49]). فاشتركت آية سورة النساء مع سورة الماعون في ذكر تضييعهم الصلاة واستبطانهم الرياء، واشتركت آيات سورة المدثر مع سورة الماعون في ذكر تضييعهم الصلاة ومنعهم الإطعام، وكلها من صفات المنافقين.

وكذلك ورد ذكر المنافقين صراحة في سورة العنكبوت، وهي مكية باتفاق في قوله تعالى: ﴿**وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ**﴾(11).

([49]) **التحرير والتنوير** لابن عاشور، (302/29). بتصرف يسير، وهو أحد قولين في الآية، والثاني أنها عامة في الكفار، والصواب عندي أنها خاصة في المنافقين. والله أعلى وأعلم .

ومن المواضع المهمة التي ذكرت المنافقين في فترة الدعوة الأولى ما ورد في سورة الحديد، وهي السورة التي لم يقع خلاف في غيرها كالذي وقع فيها، قال ابن عاشور: وفي كون هذه السورة مدنية أو مكية اختلاف قوي لم يختلف مثله في غيرها، فقال الجمهور: مدنية. وحكى ابن عطية عن النقاش: أن ذلك إجماع المفسرين، وقد قيل: إن صدرها مكي لما رواه مسلم في صحيحه، والنسائي، وابن ماجه، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**﴾ إلى قوله: ﴿**وكثير منهم فاسقون**﴾ إلا أربع سنين. وعبد الله بن مسعود من أول الناس إسلاماً، فتكون هذه الآية مكية .

وهذا يعارضه ما رواه ابن مردويه عن أنس، وابن عباس: أن نزول هذه الآية بعد ثلاث عشرة سنة أو أربع عشرة سنة من ابتداء نزول القرآن، فيصار إلى الجمع بين الروايتين أو الترجيح، ورواية مسلم وغيره عن ابن مسعود أصح سنداً، وكلام ابن مسعود يرجح على ما روي عن أنس، وابن عباس؛ لأنه أقدم إسلاماً وأعلم بنزول القرآن، وقد علمت آنفاً أن صدر هذه السورة كان مقروءاً قبل إسلام عمر بن الخطاب([50]). قال ابن عطية: يشبه صدرها أن يكون مكياً والله أعلم، ولا خلاف أن فيها قرآنا مدنياً([51]). إذن فرواية البزار والطبراني ثم رواية مسلم ترجح في

([50]) انظر: البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (292هـ)، **المسند**، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ت: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي،ط1، 2009م، مسند عمر بن الخطاب، (68/1) .
قال الطاهر بن عاشور: فقد وقع في حديث إسلام عمر بن الخطاب عند الطبراني والبزار أن عمر دخل على أخته قبل أن يسلم فإذا صحيفة فيها أول سورة الحديد فقرأه حتى بلغ ﴿**آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**﴾ فأسلم. (234/27) .

([51]) **التحرير والتنوير** لابن عاشور، (234/27) .

الغالب أن الآية التي ذكرت المنافقين مكية، فهي تؤكد أن صدر السورة مكي، وأن عمر رضي الله عنه تلا منها حتى الآية السابعة، دون الإشارة إلى أنه قرأ كل ما نزل منها وأن السابعة كانت آخر ما نزل منها، ثم رواية مسلم تؤكد أن الآية السادسة عشرة مكية، ولاشك فإن الآية التي صرحت بذكر المنافقين بين هذين الموضعين: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾(13)، فالأصل إذن أنها مثل محيطها وسياقها، لا سيما أنه سياق واحد متناغم ومترابط، وليس ثمة نص يخالف هذا القول أو يقطع أنها مدنية، وبهذا يسقط ما زعموه من ضابط للمكي والمدني فيما يختص بذكر المنافقين.

ومما يدل على حضور النفاق في مكة ما رواه الطبري في تفسيره، قال: ذكر أن علياً قام على المنبر فقال: سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي. فقام ابن الكواء فقال: من ﴿ **الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾ قال: منافقو قريش([52]).

● أيضاً من الضوابط التي نص عليها السيوطي وغيره وجود الحروف المقطعة في بداية السور، فالمشهور أنها في القرآن المكي ويستثنى من ذلك سورة البقرة وسورة آلعمران، فهما مدنيتان بالإجماع، وسورة الرعد مختلف فيها، وأضيف عليه من المختلف فيه سورة (يونس) و(ص) و(يس)، بحسب السيوطي نفسه، فكيف نقبل به ضابطاً إذنْ.

([52]) **جامع البيان** للطبري، (669/13).أما النداء ب(يا أيها الذين آمنوا) فقد وقع في القرآن الكريم في تسع وثمانين موضعاً، منها موضعان في القرآن المكي، في الحج والحديد.

- ومن ذلك ورود كلمة (كلا) فالأكثرون على أنها من سمات القرآن المكي، لكننا وجدناها في المطففين وللطاهر بن عاشور فيها تفصيل مهم([53]). ومثلها سورة التكاثر، وهي التي يرجح السيوطي مدنيتها([54]). إذن فهو ضابط غير معتبر أيضاً.

وهنا أمر منهجي لابد من تسجيله، وهو أن اعتبار مثل هذه الألفاظ من الضوابط أمر فيه كلفة غير محمودة، ويمكن أن يؤدي إلى الحديث عن مئات الضوابط المشابهة، فمثلاً ورد اسم جبريل في القرآن الكريم ثلاث مرات، اثنتان في البقرة والثالثة في التحريم، وكلاهما مدنية، وورد وصفه بالروح في أربعة مواضع، في الشعراء وفي المعارج والنبأ والقدر، وهي جميعاً مكية، فهل نجعل هذا من الضوابط، فنقول حيثما ورد اسم جبريل فهي سورة مدنية، وحيثما ورد وصفه بالروح فهي مكية! أظنه سيكون غريباً جداً، فكثيرة هي الكلمات القليلة الدوران في القرآن وحينها يمكن أن نجعلها من الضوابط، وهو أمر غير صحيح منهجياً، فاعتبار كلمات بأعيانها إشكالي وكأنه يعني الارتباط بثقافة الناس ومصطلحاتهم، وهي قضية متبدلة، ولصيقة بالتاريخانية، حيث يمكن أن يفهم منها أن المصطلحات القرآنية تحمل طابع الموديل والتقليعة الموسمية، فحين كان التوبيخ في مكة يكثر بالحرف (كلا)، أكثر منه القرآن المكي، ثم تركه مع المدنيين ليستعمل ما يستعملونه وما يناسب ثقافتهم، وهي التاريخانية تماماً، فإذا كانت المصطلحات تاريخانية فلماذا لا تكون الأحكام الشرعية كذلك! وهي النتيجة التي لا يرتضيها السيوطي وفريقه، وإن كانت قسمتهم قد تفضي لهذا القول، بل وقد نقل السيوطي ما قد يفهم منه الافضاء للتاريخانية بشكل مباشر أكثر وذلك حين قال: وقال الديريني رحمه الله:

([53]) **التحرير والتنوير** للطاهر بن عاشور، (166/30).

([54]) **الإتقان** للسيوطي، (44/1).

وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن *** ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى

وحكمة ذلك أن نصفه الأخير نزل أكثره بمكة وأكثرها جبابرة فتكررت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم، بخلاف النصف الأول وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم. ذكره العماني([55]). وهو قول في غاية الغرابة، فمما لا خلاف فيه أن اليهود أشد على الإسلام من المشركين، ولا تزال الأمة تعاني من شرورهم، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ**﴾(المائدة:82)، فقدمهم في الذكر على المشركين، وهم الذين وصفهم القرآن الكريم في سورة الإسراء بقوله: ﴿**لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾، وهم الذين اشتغل القرآن بالحديث عنهم في مساحات كبيرة جداً منه، وذكر خبثهم ومكرهم، كما أنه لعنهم صراحة كما لم يفعل مع مشركي قريش، وشتمهم بأقذع الألفاظ، كما أن سورة الأنعام والأعراف ويونس من المكي والطوال وفيها تعنيف شديد للمشركين، فلماذا خلت جميعها من كلمة (كلا)!

وبالقياس كان يمكن أن يجعل سؤال التهويل والمبالغة **(ما أدراك)** من ضوابط القرآن المكي، فقد ورد هذا السؤال في ثلاثة عشر موضعاً من القرآن المكي، ولم يرد في المدني البتة، إلا إذا رجحنا أن سورة المطففين التي فيها موضعان مدنية([56])، علماً أنهم جعلوا بعض الضوابط أغلبية

([55]) المصدر السابق، (38).

([56]) قال القرطبي: سورة المطففين مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل، ومدنية في قول الحسن وعكرمة. وهي ست وثلاثون آية، قال مقاتل: وهي أول سورة نزلت بالمدينة. وقال ابن عباس وقتادة: مدنية إلا ثمان آيات من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ إلى آخرها، مكي. وقال الكلبي وجابر بن زيد: نزلت بين مكة والمدينة. الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،ط2، 1964م، ص(250/20).

كما في الحروف المقطعة، فلماذا أغفله السيوطي وأمثاله مما يمكن -بحسب منطقهم- أن يكون من الضوابط؟

- ومن الضوابط التي أشار إليها السيوطي: وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية([57]). وكأن الأسلوب القرآني في التوجيه والتسديد ارتبط بالثقافة المكية البسيطة الجاهلة الأمية التي لا تعرف الأدلة العقلية المنطقية فلجأ لما يناسب ثقافتهم عبر استعمال القصة التي تتلاءم مع طبقة الناس البسيطة، ثم خالف القرآن أسلوبه مع المجتمع المدني المتحضر المتعلم، فاستعمل معه الأساليب العقلية الأعمق، وهي التاريخانية تماماً، التي ستفضي بنا إلى القول بأننا في عصر مختلف عن المجتمع المكي والمدني، ويلزمنا أسلوب خطاب مختلف، فإذا كان القرآن الكريم في تلك الجغرافيا القريبة من بعضها، ومع تلك المجتمعات المتشابهة جداً كان مضطراً لتغيير نمط خطابه، فكيف بمجتمعات القرن الواحد والعشرين، وهي البعيدة زمانياً، فضلاً عن المجتمعات الأوروبية والأمريكية وغيرها البعيدة جغرافياً، حينها لاشك فإنه يجب أن يتحول القرآن إلى طريقة مختلفة، وبالنظر إلى كونه نصوصاً متناهية إذن فإنه يجب على الإنسان أن يصنع الخطابات المناسبة لعصره بعيدًا عن القرآن، جاعلاً منه -في أحسن الأحوال- نموذجاً للمحاكاة والبركة، لا للامتثال في نفسه أو الخضوع لسلطانه، وهو قول يعتبر من أبرز تجليات التاريخانية، وأهم ما ينقضه أن سورة البقرة ذكرت قصة آدم وإبراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام، وهي مدنية بلا خلاف، وقصة عيسى وأمه عليهما السلام في آلعمران، وجاء ذكره دون أمه في النساء، وهما مدنيتان، وقصة معجزاته وطلب المائدة من الحواريين في سورة المائدة، ولا أظن أن نقض هذا الضابط يحتاج مزيد تفصيل.

([57]) المصدر السابق، (37).

- ومن الضوابط التي ذكرها السيوطي: وكل سورة فيها فريضة فهي مدنية([58]). وهو كذلك ضابط غير مرضي؛ إذ من الثابت أن الصلاة فرضت في مكة المكرمة، وكذلك الدعوة للزكاة والصدقات، وإنما كان في المدينة تحديد الأنصبة فقط، فالزكاة في مكة كانت مطلقة من القيود والحدود، وكانت موكولة إلى إيمان الأفراد وشعورهم بواجب الأخوة نحو المؤمنين؛ فقد يكفي في ذلك القليل من المال، وقد تقتضي الحاجة بذل الكثير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا**﴾ (الإسراء: 26) وقوله: ﴿ **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ (الذاريات: 19) و ﴿ **وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25)**﴾ (المعارج)، ومعلوم أنها جميعاً من الآيات المكية، والدعوة صريحة فيها للزكاة، بل وتصرح أنه حق واجب.

- ومن الضوابط أيضاً قوله: وكل سورة فيها حدٌّ فهي مدنية([59]). وهو ضابط لا ينبغي أن يكون من الضوابط، فمن البدهي أن الحدود تقرر بعد تأسيس الدولة، والتأسيس كان بعد الهجرة للمدينة، فصار للمسلمين شوكة مكنتهم من إقامة الحدود، وإلا لقلنا على شكله: كل سورة ذكرت غزوة من غزوات النبي فهي مدنية، لأن الغزوات لم تكن إلا في المدينة، وهو أمر بدهي، فالأنفال والتوبة وآلعمران والفتح والحشر والأحزاب، هذه جميعاً سور تحدثت عن غزوات بأعيانها، وبشيء من التفصيل، لكننا لم نجد من جعل ذكر الغزوات من الضوابط، كما لا ينبغي أن كل سورة تحدثت عن حادثة الإفك مدنية، أو الزعم بأن من ضوابط القرآن المكي الحديث عن البدء بالدعوة والجهر بها، كما في سورتي المدثر والمزمل، أو قوله تعالى في الشعراء: ﴿**وَأَنذِرْ**

([58]) المصدر السابق، (37).
([59]) المصدر السابق، (37).

عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾(الشعراء:214)، فمن المعلوم أن البدء في الدعوة كان في مكة، وإلا فإننا حينها يمكن أن نضع عشرات الضوابط إن لم تبلغ المئات من مثل هذا الضابط.

ومن جهة أخرى لابد من الإشارة إلى أن القرآن المكي لم يغفل قضية العقوبات، بل تحدث عنها وبشكل مباشر، فقد صرَّح بحق ولي المغدور بالقصاص دون إسراف، كما في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33)**﴾ وبمثل هذا قال تعالى في سورة الشورى المكية: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (39) وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ**﴾، قال الطاهر بن عاشور: ومعنى ﴿ **وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**﴾ أنها تكون بمقدارها في متعارف الناس، فقد تكون المماثلة في الغرض والصورة وهي المماثلة التامة، وتلك حقيقة المماثلة مثل القصاص من القاتل ظلماً بمثل ما قتل به، ومن المعتدي بجراح عمد، وقد تتعذر المماثلة التامة فيصار إلى المشابهة في الغرض، أي مقدار الضر وتلك هي المقاربة مثل تعذر المشابهة التامة في جزاء الحروب مع عدو الدين إذ قد يلحق الضر بأشخاص لم يصيبوا أحداً بضر ويسلم أشخاص أصابوا الناس بضر، فالمماثلة في الحرب هي انتقام جماعة من جماعة بمقدار ما يشفي نفوس الغالبين حسبما اصطلح عليه الناس([60]). إذن فقضية العقوبة على بعض الجرائم واردة في القرآن المكي، والحدود نوع من العقوبات، فيكون حال العقوبات كالزكاة، ذُكر التأصيل لها في القرآن المكي والدعوة إليها، ثم فصلت في القرآن المدني وتحددت بصورة أكبر، وعليه فهي قضية تعود لطبيعة الموضوعات القرآنية وتدرجها.

([60]) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ص(173/25).

وفي كل ما مضى مما قيل إنه من الضوابط أرى الصواب أن يقال فيه إنه من لوازم الموضوع القرآني المطروق، وأنها مقتضيات المعاني وضروراتها، بعيداً عن كل اعتبار آخر، ليكون القرآن المكي فاعلاً ومتفاعلاً مع كثيرين من أهل المدينة ممن يمرون في مثل تلك الحالات التي كانت لأهل مكة وقت نزل القرآن المكي، ولكل جيل وفي كل عصر ومصر، ليظهر لنا أنه ليس ثمة قاعدة مطردة في ضوابط المكي والمدني، ولنعلم أنه ما من سمة من سمات القرآن المكي والمدني متعلقة بالمكان والزمان، وليس ثمة شيء مما يصح أن يقال فيه: هي خصيصة متعلقة بمكة واقتضاها الموقع المكي، أو الجغرافيا المكية، أو اقتضاها ذلك الزمان، فكل ما يقال فيه إنه من سمات القرآن المكي سنجد له نظيراً في القرآن المدني، وكذلك كل سمة زُعم أنها من سمات المدني سنجدها في القرآن المكي، لنعلم أن القرآن الكريم لا يتنزل إلا وهو يتحسس مشروعه الكبير في إصلاح الناس، مراعياً كل أنواعهم، وتعدد طبائعهم، واختلاف أنماطهم، على نحو يتوافق مع أفكاره الكلية الكبرى، وأولوياته فيها، وكيف يراعي مرحليتها وتدرجها، وأنه صالحٌ لكل النوع الإنساني في مطلقه، غير مختص بأهل منطقة جغرافية محددة، ولا مرحلة زمنية معينة، ويمكن حصر المؤثر الوحيد في طريقة خطابه بأمر واحد أساسي هو مقتضيات المشروع ولوازمه واحتياجات نجاحه، مع إتاحة مرونة واسعة لأهل العلم والاختصاص في كيفيات تنزيله وتبييئه في واقع الناس، مستحضرين تدرجه وحكمته وصبره ومراعاته لأحوال الناس وخصوصيات المجتمعات.

لذا فإنني أجد أن بعض التعبيرات التي صدرت عن السلف الصالح كانت من الأسباب التي فتحت باباً للقائلين بتاريخانية القرآن الكريم وليس أكثرها ما نصَّ عليه السيوطي: (**المكي ما**

وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة)([61]). في اختزال عجيب لكوكب الأرض بمساحتي مكة والمدينة، وتضييق غير مبرر للخطاب القرآني بما يناسب سكان هاتين المدينتين، وكأن القرآن المكي لو نزل في مدينة لندن سيكون على صورة مغايرة لما هو عليه، ومثله القرآن المدني لو نزل في باريس فكأنه سيكون على نمط مختلف كذلك، وكم حفل الحداثيون بمثل هذه العبارات التي انتزعوا منها القول بالتاريخانية، ولاشك فإن تعبير السيوطي، ومن قبله الزركشي في بعض المواضع في نوع المكي والمدني مما يمكن استغلاله لتأويلهم الفاسد وتوجيههم غير الوجيه، ومن أولئك المستغربين الصادق بلعيد في كتابه (**القرآن والتشريع، قراءة جديدة في آيات التشريع**) حيث اختصر محمد أركون فكرته من كل كتابه بعبارات موجزة، فقال: إن الآيات المدعوة بالتشريعية كانت قد أعدت للمجتمع القبلي، وليس للأنظمة القانونية والسياسات الحديثة، فالهمُّ الرئيسي للقرآن كان التثقيف الروحي للجنس البشري وليس تأسيس نظام سياسي أو بلورة قانون قضائي وتشريعي جديد، إن القرآن لا يزود المؤمنين بنموذج سياسي ولا يستخدم مفردات المعجم السياسي، على عكس ما تزعم التفسيرات التبجيلية المنتشرة منذ ظهور جماعة الإخوان المسلمين عام 1928م، فالخطاب التبجيلي يعتبر مغالطة تاريخية كاملة، وهو أبعد ما يكون عن فكرة تاريخية المعنى([62]).

(61) المرجع السابق، (35/1)، وسبقه في ذلك الزركشي في **البرهان** (187/1)، ولحقهم في ذلك أكثر الكاتبين في علوم القرآن الكريم ومنهم الزقاني في **مناهل العرفان**، (193/1) .

(62) أركون، محمد (2010م)، **القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني**، ترجمة هاشم صالح، دار الطكليعة/بيروت، ط1، 2005م، ص(14).

ولعل ما يخرجنا من كل هذا اللغط هو عدم تقسيم القرآن الكريم بحسب المكان أو باعتبار الزمان، وكما أسلفت في بداية الحديث فإنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن كبار الصحابة أنهم اشتغلوا بتصنيف القرآن بحسب الزمان والمكان، ويسع الأمة ما وسعهم، أما إن كان ولابد فليكن بحسب مرحليته في مخاطبة الناس، واعتباره لأنماطهم وأصنافهم، وحينها فهو تقسيم لاعتبارت المخاطبِين ولا أقصد العرقية والقومية بل طبيعتهم من حيث القرب والبعد عن الإسلام، وهي التي تستغرق الجنس البشري كله، وهي اعتبارات خارجية، أو بحسب موضوعاته، ومقاصده الكبرى ومشروعاته الأساسية، وهي الاعتبارات الداخلية.

مع ضرورة الإشارة إلى أن التقسيم بحسب الموقع الجغرافي والزماني (**المكي والمدني**) لم يقصد منه علماء الأمة الإيحاء بأنه يلزم عليه وجود اختلاف في طبيعة القرآن المكي عن القرآن المدني، وأنه اختلاف ناجم عن الزمان والمكان، وهو مع الأسف ما جعله البعض من لازم كلامهم، ثم تم استخدامه بشكل سلبي في محاربة القرآن الكريم والزعم بتاريخانيته، وإنما كانت غاية السلف الصالح من البحث في مكان وزمان النزول أن يتحققوا من تمام التعظيم لكتاب الله تعالى، وذلك من خلال الحرص على دراسته من كل جوانبه، والتمييز الدقيق لمواطن نزوله وزمانه، لاسيما فيما يتعلق بمبحث الناسخ والمنسوخ، لمن يقول به منهم، مع الاعتقاد الكامل لديهم أنه صالح لكل زمان ومكان.

الخاتمة والتوصيات:

1. مبحث المكي والمدني وما ينشعب عنه من أقسام فضلاً عن الكثير من أنواع علوم القرآن الكريم كالنسخ وأسباب النزول وغيرها محتاجة لمزيد من التأمل من الباحثين، لتنضبط في سياق المشروعات القرآنية التي نزل الكتاب لأجلها، وفي حدود غاياتها، دون اعتبار الجغرافيا

والتاريخ لذاتهما، لما لهذا الاعتبار من آثار خطيرة كالقول بالتاريخانية، ولو كان لابد من اعتبار هذا التصنيف فهو لاحترام مجهودات السابقين مع التوضيح والبيان لحقيقة أنه غير مؤثر في حقيقة التفسير وضبط الدلالات القرآنية.

2.اقتراح تقسيم مخالف لقسمة المكي والمدني وما يتعلق بالمكان، بالإضافة لما يتعلق بالزمان، لتكون القسمة متعلقة بالمشروع القرآني ومراحله. أو من حيث نوع المخاطبين من حيث قربه وبعده عن الحق والتدين، وإمكان قبول الإسلم ديناً ومنهجاً، وما يترتب على ذلك من حاجات متباينة لكل نوع منهم.

3.الانكار التام لاختصاص بعض القرآن الكريم بأهل مكة، والبعض الآخر بأهل المدينة.

4.ما يقال عنه (**ضوابط المكي والمدني**) غير منضبط ولا مطرد، ولا يمكن اعتماده قاعدة لتحديد مواضع وتاريخ نزول سور القرآن الكريم، فضلاً عن النجوم القرآنية أو ترتيبها، ولاشك فالثانية أعسر وأشق.

5.احتياج كتب علوم القرآن الكريم للكثير من الدراسات والبحث والمراجعات، لاسيما وأنها كانت باباً ولج منه المستشرقون للطعن في القرآن الكريم والمنهج الإسلامي عموماً، وتبعهم في ذلك بعض أهل الحداثة من المسلمين.

قائمة المراجع والمصادر:

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار المعرفة - بيروت، 1379م.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 2000م.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، دار الكتب العلمية/ بيروت، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، 2001م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، مجمع الفقه الإسلامي بجدة 1428 هـ، ت: نايف بن أحمد الحمد ، ط1، 2001م.

أبو زيد، نصر حامد، **مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن**، مكتبة الفكر الجديد، المركز الثقافي العربي، ط1، 2014م.

أركون، محمد، **القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني**، ترجمة هاشم صالح، دار الطكليعة/بيروت، ط1، 2005م.

البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح**، دار الشعب، القاهرة، ط1،(407 هـ - 1987م).

البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، **المسند**، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ت: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي،ط1، 2009م.

البشير، عصام، محاضرة بعنوان: **فقه تطبيق الوسطية في عالمنا المعاصر** https://www.youtube.com/watch?v=GXyKhBD79H4

التاهوني، محمد بن علي الفاروقي الحنفي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، مكتبة لبنان، ت: رفيق العجم وعلي دحروج، ط1، 1996م.

تقي الدين العثماني، **تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2006م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، دار الكتاب العربي – بيروت، ت: إبراهيم الأبياري، ط1، 1405هـ.

جعيط، هشام، **في السيرة النبوية 2، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2007م.

دراز، محمد عبد الله، **حصاد القلم**، دراسات وبحوث، جمع وإعداد: الشيخ أحمد مصطفى فضلية، تقديم د علي جمعة، دار القلم للنشر والتوزيع – مصر، ط1، 2007م.

دروزة، محمد عزت، **التفسير الحديث**، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ط1، 1383 هـ.

الرافعي، مصطفى صادق، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، دار الكتاب العربي، ط9، 1973م.

رحاب، محمد آل رحاب، **تنقية الذيل بتبرئة العلامة السيوطي من وصفه بـ: حاطب ليل**، https://www.facebook.com/872925356084159/posts/253/6374569739221

الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، 1987م.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1957 م.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، **الكتاب**، (المتوفى: 180هـ) ت: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، (1408 هـ - 1988 م) عدد الأجزاء: 4.

السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، **الاتقان في علوم القرآن**، دار ابن حزم، 2015م.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي، **الموافقات**، دار ابن عفان، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، 1997م.

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، **الاعتصام**، مكتبة التوحيد، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، 2004م.

الصالح، صبحي، **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملاين، ط24، 2000م.

الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مكتب التحقيق بدار هجر، ط1، 1984م.

عباس، فضل حسن، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، دار الفرقان/ الأردن، 2001م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **المستصفى في أصول الفقه**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ت: محمد بن سليمان الأشقر، ط1، 1997م

الغماري، عبد الله بن الصديق، **الإحسان في تعقيب الاتقان للسيوطي**، دار الأنصار.

فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربى/ بيروت، ط2، 1992م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، دار ومكتبة الهلال، ت: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، ط1.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،ط2، 1964م.

القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، ط11، 2000م.

قطب، سيد، **مشاهد القيامة في القرآن**، دار الشروق،ط14.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، **الجامع الصحيح**، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة . بيروت، ط3، 1994م.

المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، مكتبة وهبة/ القاهرة، ط1، 1992م.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، **مجمع الأمثال**، دار المعرفة/ بيروت، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، 2002م، ص(180/1).

النسفي، أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد، **التيسير في التفسير**، دار اللباب/ إسطنبول، ت: ماهر أديب حبوش وفادي المغربي، ط1، 2019م.

Kaynakça

Abbâs, Fadl Hasan. *İtkânü'l-Burhân Fî Ulûmi'l-Kur'ân*. Dârü'l-Furkân/ Ürdün, 2001.

Arkun, Muhammed. *el-Kur'ân min et-Tefsîr el-Mevrûs İlâ Tahlîl el-Huttâb ed-Dînî*, Tercüme: Hâşim Sâlih, Dârü't-Taklîa'/Beyrut, 1. Baskı, 2005.

Beşîr, İsâm el-Beşîr, *Fıkh Tatbîk el-Vasatiyye Fî Âleminâ el-Muâsır*.

Bezzâr, Ebû Bekr Ahmed b. Amr b. Abdülhalık el-Bezzâr. *el-Müsned*, Mektebetü'l Ulûm ve'l Hikem - el-Medinetü'l Münevvere, Tahkik: Mahfûz er-Rahmân Zeynullah ve Âdil b. Sa'd ve Sabrî Abdülhalık eş-Şâfi'î, 1. Basım, 2009.

Buhârî, Muhammed b. İsmâ'îl el-Buhârî. *el-Câmi' es-Sahîh*, Dârü'ş-Şa'b. Kâhire, 1. Baskı (1987 - 407 H.).

Ca'ît, Hişâm. *Fi's-Sîra en-Nebeviyye* 2. Târîhiyye ed-Da've el-Muhammediyye Fî Mekke, Dârü't Talîa' Littibâa ve'n-Neşr, 2007.

Cürcanî, Alî b. Muhammed b. Alî el-Cürcânî. *et-Ta'rîfât*. Dârü'l-Kitâb el-Arabî - Beyrut, Tahkik: İbrâhîm el-İbyârî, 1. Baskı, 1405 H.

Derrâz, Muhammed Abdullah, Hasâd el-Kalem. *Dirâsât ve buhûs*. cem' ve i'dâd: eş-Şeyh Ahmed Mustafa Fadliyye, Takdîm D. Alî Cum'a, Dâr el-Kalem Linneşr ve't Tevzî' - Mısır, 1. Baskı, 2007.

Derveze, Muhammed İzzet. *et-Tefsîr el-Hadîs*. Dâr-ı İhyâ' el-Kütüb el-Arabiyye el-Kâhire, 1. Baskı, 1383 (h.).

İbn Hacer el-Askalânî. Ahmed b. Alî b. Hacer. *Feth el-Bârî bi Şerh-i Sahîh el-Buhârî*. Dârü'l Ma'rife - Beyrut, 1379.

İbn Âşûr, Muhammed el-Tâhir. *et-Tahrîr ve't-Tenvîr*. Müessestü't-Târîh el-Arabî, Beyrut, 1. Baskı, 2000.

İbn Atiyye, Ebû Muhammed Abdülhak b. Ğâlib b. Abdurrahman. *el-Muharrirü'l Vecîz fî Tefsîr el-Kitâbü'l Azîz*. Dârü'l Kütüb el-İlmiyye / Beyrut, Tahkik: Nâyif b. Ahmed el-Hamd, 1. Baskı, 2001.

Ebu Zeyd, Nasr Hâmid, Mefhûmü'n-Nass. *Dirâse Fî Ulûm el-Kur'ân, Mektebetü'l-Fikrü'l Cedîd*. el-Merkezü's-sekâfî el-Arabî, 1. Baskı, 2014.

Tâhûnî, Muhammed b. Alî el-Fârûkî el-Hanefî et-Tâhûnî. *Keşşâfi Istılâhâtü'l Fünun*. Mektebetü Lübnân, Tahkik: Refîk el-Acem ve Alî Dahrûc, 1. Baskı, 1996.

Takiyyüddin el-Osmânî. *Tekmiletü Feth el-Mülhem bi Şerh Sahih Müslim*. Dârü İhyâ' et-Turâsü'l Arabî, 1. Baskı, 2006.

Râfiî', Mustafâ Sâdık Er-Râfiî'. *İ'câz el-Kur'ân ve'l-Belâğa en-Nebeviyye*. Dâr el-Kütüb el-Arabî, 9. Baskı, 1973.

Rehâb, Muhammed Âl-i Rehâb. T*enkiyye tü'z-Zeyl bi tebrieti'l-Allâme es-Suyûtî min Vasfihi bi Hâtıb Leyl*. https://www.facebook.com/872925356084159/posts/2536374569739221/

Sîbeveyhi, Amr b. Osmân b. Kanber el-Hârisî bi'l-velâ', Ebû Bişr, el-Kitâb, (vefat: 180 h.) tahkik: Abdusselâm Muhammed Hârûn, en-Nâşır: Mektebe el-Hâncî, el-Kâhire, 3. Baskı, (1988 m. - 1408 h.) Cilt Sayısı: 4.

Suyûtî, Abdurrahmân b. Kemâl Celâleddîn es-Suyûtî. *el-İtkân Fî Ulûmi'l-Kur'ân*. Dâr-ı İbn Hazm, 2015.

Şâtibî, Ebû İshâk İbrâhîm b. Mûsâ b. Muhammed el-Ğarnâtî eş-Şâtibî. *el-Muvâfakât*. Dar-ı İbn Affân, tahkik: Meşhûr b. Hasan Âl-i Selmân, 1. Baskı, 1997.

Şâtibî, Ebû İshâk İbrâhîm b. Mûsâ b. Muhammed el-Lahmî eş-Şâtibî. *el-İ'tisâm*. Mektebe et-Tevhîd, Tahkik: Meşhûr b. Hasan Âl-i Selmân, 1. Baskı, 2004.

Sâlih, Subhî es-Sâlih. *Mebâhis Fî Ulûm el-Kur'ân*. Darü'l-İlm li'l-melâyin, 24. Baskı, 2000.

Taberî, Muhammed b. Cerîr et-Taberî. *Câmi'ül Beyân An Te'vîl Ây el-Kur'ân*. Mektebi't-Tahkîk Bidâr Hicr, 1. Baskı, 1984.

Gazali, Ebu Hâmid Muhammed b. Muhammed el-Gazali. *el-Müsteşfâ Fî Usûli'l-Fıkh*, Tahkik: Muhammed b. Süleyman el-Eşkar, Beyrut: Müessese-ti'r-Risâle, , , 1. Baskı, 1997.

Gumarî, Abbdullah b. es-Sâdık el-Gumarî. *el-İhsân Fî Ta'kîbi'l-itkân li's-Suyûtî*. Dârü'l Ensâr.

Fahreddîn er-Râzî, Muhammed b. Ömer. *Mefâtîhü'l-Ğayb ev et-Tefsîrü'l-Kebîr*. Dâr-ı İhyâi't- Turâs el-Arabî/ Beyru, 2. Baskı, 1992.

Ferâhîdî, el-Halîl b. Ahmed el-Ferâhîdî. *el-Ayn*. Dâr ve Mektebeti'l-Hilâl, Tahkik: Dr. Mehdî el-Mahzûmî ve Dr. İbrâhîm Sâmerrâî, 1. Baskı.

Kurtubî, Ebû Abdullah Muhammed b. Ahmed b. Ebî Bekr b. Farah el-Ensârî el-Kurtubî. *el-Câmi' li Ahkâmi'l-Kur'ân*. Dârü'l-Kütüb el-Mısriyye, el-Kâhire, Tahkik: Ahmed el-Berdûnî ve İbrâhîm Atfîş, 2. Baskı, 1964.

Kattân, Mennâ' el-Kattân. *Mebâhis fî ulûmi'l-Kur'ân*. Mektebe Vehbe, 11. Baskı, 2000.

Kutub, Seyyid. *Müşâhedetü'l-Kıyâme Fî'l-Kur'ân*. Dârü'ş-Şurûk, 14. Baskı

Müslim, Ebû'l Hüseyn Müslim b. El-Huccâc b. Müslim el-Kuşeyrî en-Neysâbûrî. *el-Câmi'ü's-Sahîh.* Dârü'l-Cîl Beyrut ve Dârü'l-Afâk el-Cedîde. Beyrut, 3. Baskı, 1994.

Ma'tanî, Abdülazîm İbrâhîm Muhammed. *Hasâisü't-Ta'bîr rl-Kur'ânî ve semâtihi'l-Belâğiyye.* Mektebetü Vehbe/ el-Kâhire, 1. Baskı, 1992.

Meydâni, Ebû'l-Fadl Ahmed b. Muhammed el-Meydâni en-Neysâbûrî. *Mecmu'i'l-Emsâl.* Dârü'l-Ma'rife/ Beyrut, Tahkik: Muhammed Muhyiddîn Abdülhamîd, 2. Baskı, 2002, Sayfa (180/1)

Nesefî, Ebû Hafs Necmeddîn Ömer b. Muhammed. *et-Tefsîr Fi't-Tefsîr.* Dârü'l-Lubâb/ İstanbul, Tahkik: Mâhir Edîb Habbûş ve Fâdî el-Mağribî, 1. Baskı, 2019.

Zerkânî, Muhammed Abdulazîm ez-Zerkânî. *Menâhil el-İrfân fî Ulûmi'l Kur'ân*. Matbaa Îsâ el-Bâbî el-Halebî ve Şürekâhu, 3. Baskı, 1987.

Zerkeşî, Bedreddin Muhammed b. Abdullah b. Bahadır ez-Zerkeşî. *el-Burhân Fî ulûm el-Kur'ân*. Dâr-ı İhyâ' el-Kütüb el-Arabî Îsâ el-Bâbî el-Halebî ve Şürekâihi, Tahkik: Muhammed Ebu'l Fadl İbrâhîm, 1. Baskı, 1957.